نشاط النخبة الجزائرية في المهجر (1900-1939)

الدكتور خير الدين شترة

جامعة أدرار

مدخل:

لقد كانت المرحلة الممتدة من مطلع القرن العشرين إلى غاية نهاية الحرب العالمية الأولى، مرحلة هامة تكاد تأثيراتها تكون مشتركة بين أقطار المغرب العربي، وإذا كانت ليبيا قد دخلت في حرب شعبية مستعمرة مع الإيطاليين، فإن الأقطار الثلاثة الأخرى (الجزائر-تونس-المغرب)، قد عاشت تجربة متشابهة؛ فالدولة المستعمرة واحدة (عدا إسبانيا في شمال المغرب)، وقد فرض الفرنسيون التجنيد الإجباري على شباب هذه الأقطار لكي يخدموا في جيشها ضد الدولة العثمانية المتحالفة مع ألمانيا.

ومن خلال قانون التجنيد الإجباري الذي سنّته فرنسا عام 1912م من أجل استغلال الشباب الجزائري في أية مواجهة عسكرية ضدها نجد أنها قد عاملت طبقة النخبة الجزائرية معاملة خاصة؟![1].

وكان الاضطهاد والهروب من الخدمة العسكرية والغيرة الوطنية قد ساعدا على خروج عدد من قادة هذه الأقطار إلى المشرق وإلى أوروبا وتأليف لجان وجمعيات لتحرير بلدانهم، وكان ذلك مدعاة للتنسيق فيما بينهم والبحث عن الأنصار في الدول الأخرى ومخاطبة الرأي العام الغربي والإسلامي بخطاب الاستغاثة والتعاون.

ويمكن القول إن الحرب العالمية الأولى كانت مدرسة تعلّم فيها شباب المغرب العربي الوطنية وقيادة الأحزاب والاعتماد على الإعلام والبحث عن الأصدقاء، لذلك كانت المرحلة التالية لها "1919-1939م" تمثل مرحلة النضج لدى الحركات

1 - Sicard (j),**Le Monde musulman dans les possessions françaises**, Paris,1928 P224

الوطنية والإصلاحية في المنطقة، لكن لماذا هذه الدراسة حول النخبة الجزائرية بالمهجر؟ إن الأمر لا يعدوا أن يكون محاولة لسد فراغ حقيقي في هذه الدراسة والتي تعني بأنشطة النخبة الجزائرية بتونس دون سواهم كما أن الإطار العام لها هو إسهامات المهاجرين الجزائريين في الشرق والغرب إضافة إلى أن الكتابات وخاصة المنشورات حول نشاط النخب الجزائرية عموما شحيحة بالمقارنة مع ما كتب ونشر على الساحتين المغاربية والعربية، ونعتقد أن هذا الفراغ يعود بالأساس إلى الصورة السلبية التي طالما ساهمت في رسمها وترسيخها وسائل الإعلام الاستعمارية المختلفة، حتى أحيل الموضوع أو يكاد إلى تخوم المجهول.

1- النشاط المهجري في المشرق العربي: لقد اختار الوطنيون الجزائريون والتونسيون الأستانة مقرا لهم، حيث ستكون سياستهم أثناء الحرب العالمية الأولى، هي سياسة الجامعة الإسلامية في أغلبها وفي توافق مع الدولة العثمانية في كل شمال إفريقيا حيث اتصلوا في الأستانة بالأمير شكيب أرسلان، وسليمان الباروني، وعبد العزيز جاويش (التونسي الأصل) ومحمد فريد وألّفوا هيئة لتحرير شمال إفريقيا، تعاونت مع السنوسيين في برقة، واتصلت بعدد من التوارق في الجنوب الليبي والجزائري[1]، ووصلت دعايتهم إلى قلب الصحراء الكبرى، وكانت هذه اللجنة وراء إمداد السيد أحمد الشريف السنوسي، ببعض ما يحتاج إليه كما كانت وراء إرسال الباروني* إلى طرابلس الذي عمل هناك على إثارة حركة تحريرية تمتد من طرابلس حتى تونس والجزائر، وحاولت اللجنة أيضا تجميع قوات من أبناء المغرب الموجودين في أوروبا وإرسالهم إلى شمال إفريقيا والمشاركة في عمليات التحرير[2]، ومنذ حوالي

1- جلال (يحي)، **المغرب العربي الكبير**، ج4، بيروت: دار النهضة العربية، 1981م، ص. 211.

2- المرجع نفسه، ج4، ص. -ص. (242- 243).

- للتوسع يراجع: - محفوظ (محمد)، **تراجم المؤلفين التونسيين**، ج3، دار الغرب الإسلامي، 1982م، ص. - ص. (233 - 235).

1910م أسّس الشيخان صالح الشريف وإسماعيل الصفايحي (1853- 1918)م (جمعية الأخوّة الجزائرية التونسية) في إسطنبول وكان لها فرع في دمشق ينشط بين المهاجرين الذين كان أغلبهم من الجزائر، ولها فروع في بلاد الشام والحجاز، ولاسيما فرع المدينة المنورة.

وخلال نفس الفترة شارك الجزائريون في مصر داخل تنظيم يسمى (الاتحاد المغاربي) وكان صاحب الفكرة فيها هو الشيخ على يوسف صاحب جريدة المؤيد التي كانت تتبع سياسة الجامعة الإسلامية ومقر هذا التنظيم كان في الإسكندرية، وكان يرأسه محمد شرعي باشا[1] -الذي ربما يكون من أصول مهاجرة- كما كان مدعّما من طرف الخديوي عباس حلمي، وقد أرسل الإتحاد موفَدين إلى المغرب العربي وخاصة إلى المنطقة الوهرانية بالجزائر للاتصال بصف ضباط جزائريين كانوا يؤيدون الجامعة الإسلامية[2].

ونظرًا لعدم اقتناع الجزائريين بالتجنيد في الجيش الفرنسي، فإنهم بدأوا يفرون من الخدمة العسكرية من جبهة الشرق الأدنى، والجبهة الأوروبية زرافات ووحدانًا والتحقوا بمواطنيهم الثائرين في الجزائر، ومن هناك واصلوا نشاطهم في شكل حرب عصابات معلنين الثورة على الاحتلال الفرنسي[3] وقد بقي بعضهم خارج الجزائر،

- عليان الجالودي، الشيخ إسماعيل الصفايحي "دراسة في مواقفه وآثاره (1853-1918)م"، **مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية**، عدد10، الجزائر: سبتمبر2001 م، ص. 98 وما يليها.

1- سعد الله (أبو القاسم)، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج5، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1998م، ص. 602.

2 - Bardine (p). Algériens et tunisiens dans l'empire ottoman de(1848 à 1914). Paris: ED.du C.N.R.S, 1979, P.P(230 - 231).

3- حجاج (زروق)، **العالم الإسلامي في الحرب العالمية الأول (1914-1918)م**، ط1، مصر: مطبعة الأمانة، 1989، ص. 68.

* **الباروني (سليمان)** (1873 - 1940)م: هو بطل الحرب الطرابلسية في وجه الغزوة الإيطالية، درس في جامع الزيتونة وفي وادي ميزاب، أصدر في القاهرة جريدة "الأسد الإسلامي" سنة 1906م، وأسس مطبعة الأزهار البارونية، وانتخب نائبا عن الجبل الغربي في الأستانة سنة 1908م، ومنذ سنة 1911م، تصدى للهجمة الإيطالية

وشكلوا مع بعض التونسيين لجانا وطنية في جنيف وبرلين والأستانة ومصر والحجاز للدعوة لاستقلال شمال إفريقيا، ولقد وظّفت حركة الجامعة الإسلامية في مرحلتها الأخيرة العديد من رجالات الجزائر وتونس سواء من المهاجرين أو من الزعماء الذين اختاروا الشرق مستقرا، كما جنّدت الدولة العثمانية بعض أبناء الأمير عبد القادر كمحي الدين الذي أصبح له شأن في تلك الفترة.

وقد ساعدت هجرة الوطنيين الجزائريين إلى المشرق أمثال الخضر حسين (1874-1958)م والمكي بن عزوز (1854- 1915)م. وصالح الشريف(1862-1920)م، وكذا التونسيين أمثال محمد بيرم وإسماعيل الصفايحي*(1853-1918)م، وعلي باش حامبه، على بلورة السياسة الإسلامية نحو شمال إفريقيا[1]، ويجب أن نلاحظ أن هؤلاء جميعًا كانوا يعملون في إطار الوطن (الجزائري التونسي) وليس في إطار القطرية الضيقة وكانت جهودهم متظافرة مع المجاهدين السابقين وأحفادهم وكانت لهم صحفهم ومنشوراتهم ونواديهم الخاصة.

ومن عاصمة الخلافة انطلقوا مجاهدين إلى الدول الأوروبية مع بداية الحرب وبخاصة إلى ألمانيا وسويسرا، حيث كانت هجرة هؤلاء المغاربة أسلوبًا من أساليب الكفاح ووسيلةً لتجميع وتوحيد القوى في جبهات خارجية، من أجل القضية المغاربية الإسلامية، وقد كان لذلك أثره العميق على القضايا السياسية والفكرية لهذه

وعارض فكرة الصلح مع إيطاليا، وأسس سنة 1918م "الجمهورية الطرابلسية"، واضطر إلى الإقامة بعد فشله في مرسيليا، ولما انقطع عنه المدد أعانه أبناء وادي ميزاب وكان يسميهم "إخوان الصفا" ثم استقر في العراق سنة 1929م ثم إلى عمان سنة 1938م، ثم توجه إلى الهند سنة 1940م، أين وافاه الأجل في بومباي.

- يراجع عنه في: -حمو (محمد عيسى النوري)، **نبذة من حياة الميزابيين**، ج1، باريس: دار الكروان، 1984م. ص. -ص. (327- 330)، -الخرفي (صالح)، **عبد العزيز الثعالبي**، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1995م، ص. 43، هـ-261. -أبي اليقظان (الحاج إبراهيم)، **سليمان الباروني في أطوار حياته**، ج1، ج2. الجزائر: المطبعة العربية للكتاب 1956م.

1- سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج5، ص. 520.

الأقطار، وفي طليعة هذه النخبة المهاجرة الجنرال زروق الجزائري الذي اقترح على الباب العالي برنامجا لإرجاع سلطة السلطان على تونس والجزائر، لتحقيق ذلك اقتراح الاعتماد على الجزائريين الذين هم على أتم الاستعداد للثورة[1].

ومن الشخصيات الجزائرية التي حلّت بإسطنبول في مطلع القرن العشرين الشيخ المكي بن عزوز سنة 1905م، الذي انتقل من إسطنبول إلى الحجاز وأسس بالمدينة المنورة جمعية الشرفاء سنة1913م، وهي جمعية إسلامية كان من أهدافها إثارة مناطق في إفريقيا الشمالية، فخلال أحد اجتماعاتها التي حضرها مغاربة من الجزائر وتونس ومراكش منهم القائد الأخضر من تلمسان ومحمد بن الزاوي جلول من قسنطينة تقرّر إرسال مبعوثين إلى الجزائر والمغرب الأقصى بغية تحقيق أهداف الجمعية[2].

ولا ندري لقلة مصادرنا مصير هذه الجمعية، ولا إلى ما آلت إليه، ولكن الأكيد أنها كانت تضم بعض الوطنيين التونسيين الذين سيكون لهم دور في الحركة السياسية التونسية أمثال: البشير الفورتي (1882- 1954)م ومحمد باش حامبه* (1881- 1921) م، ومن الجزائريين الذين نشطوا في إطارها الشاذلي السنوسي، ومحي الدين السنوسي، ومحمد البشير زر وق، والشيخ محمد عبد السلام التيجاني.

إن الجمعية التي أسّسها صالح الشريف وإسماعيل الصفايحي سنة 1910م كانت لها فروع من أهمها فرع دمشق ومن أعضائه الشيخ الحسين ومحمد بن الصغير وكلاهما من مدينة سدراته (الجزائر) والدراجي بن الحسين والحاج إسماعيل بن محمد وكلاهما من قسنطينة ومحمد بن شطة من الأغواط[3] وفي سنة 1916م قرّرت

---

1 - Bardin, Op.Cit, PP(116 - 117).

* **إسماعيل الصفايحي** (1853-1918) م، تونسي من شيوخ الزيتونة، تولى القضاء الحنفي بتونس العاصمة.

2- المرجع نفسه، ص. ص. (230 -233). ينظر: -سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج5، ص. 603.

3- Bardin, OP. Cit. p.230 .

الحكومة العثمانية أن تؤسس في الأستانة هيئة لغزو شمال إفريقيا بالاتفاق مع رجالها اللاجئين[1].

ولما عيّن سليمان الباروني واليًا عامًا على المناطق المحرّرة في طرابلس الغرب، انتظمت مقاومته ضد الإيطاليين ومن بين ما قام به الباروني [تلميذ محمد أطفيش الجزائري (1818- 1914) م] هو أنه بعث رسُله لنشر الدعوة في الجزائر وتونس، وربط الصلة بين أنور باشا وحسن قلاتي (الجزائري) (1880- 1966)م، أحد الذين بقوا في تونس من حزب على باش حامبة، وفي سنة 1917م ثار التوارق بزعامة شيوخ الطريقة الرحمانية انطلاقا من الصحراء الجزائرية «وقامت بثورة عمّت الصحراء كلها من أعالي النيل إلى أدرار في الساحل مرورا بالجنوب التونسي، فاضطرت جميع المراكز الصحراوية الفرنسية للانسحاب إلى الواحات ودارت معارك عدة شارك فيها الجزائريون إلى جانب إخوانهم التونسيين في الجنوب التونسي، حيث قتل في إحداها الكولونيل لوبوف الذي تسمى به برج لوبوف»[2].

كما كان للصحفي الجزائري المحامي محمد قدري الجزائري دور هام في إقليم طرابلس الغرب حيث هاجر والده، وفيها أكمل دراسته وتعليمه ومنها انتقل إلى

1- الفاسي (علال)، **الحركات الاستقلالية في المغرب العربي**، المغرب: دار الطباعة المغربية، 1948م، ص. 53. يراجع -إدريس (محمد) وبن ميلاد (أحمد)، "الخلافة ومؤتمر القاهرة والحزب الدستوري"، **م.ت.م**، ع1، تونس: 1974م.ص. 164.

2- الفاسي، **المصدر السابق**، ص. 54.

* **محمد باش حامبه (1881–1921) م**: ولد بتونس من أصل عثماني، درس بالصادقية، اشتغل مستخدما في إدارة المال ثم في إدارة العدلية، وفي سنة 1912م يسمى حاكما بمحكمة الدربية، انخرط في كلية الحقوق بباريس ثم عمل في تونس بسلك المحاماة، له ثقافة مزدوجة، أصدر مجلة المغرب.

- ينظر:

Centre de documentation National, **Série. M.N, Dossier Mohamed Bach Hamb, B1 - 28, doc n°38**. Par (Chedly Kairellah),"Mohamed Bach Hamb", In la Voie du tunisien du 02/02/1932.

اسطنبول حتى تخرّج من كلية الحقوق ولما عاد إلى طرابلس أصدر جريدته التي كانت تنطق باللغة التركية وعنوانها (تعميم حريت)، وهذا لأجل قراء اللغة التركية الموجودين في الولاية، وقد توقّفت الجريدة عن الصدور خلال نوفمبر 1911م بسبب الغزو الإيطالي للبلاد كما كانت له زيادة على ذلك عدة أنشطة ونضالات لم ينسى فيها خدمة القضية الجزائرية[1].

وبالنسبة لمشاركة الطلبة الجزائريين في الحرب الليبية الطرابلسية، فإذا كنا لا نعرف الكثير عنهم أمثال: مصطفى عوني والأخوة محمد ومولاي وعلي بن حميدة بن خير والحاج قاسم أبو خطوة، وأبناء بن جلول وأبناء عائلة جبارة، وغيرهم كثيرون وخاصة من جهات الشرق الجزائري وجنوبه فإن ذلك لا يعني قلة المتطوعين من الجزائر في ميادين الجهاد الطرابلسية، ولكن نحن لم نتمكن من الحصول على أسماء الأكثرية منهم لأن البحث في هذه النقطة لم يتسع كثيرا خاصة على الصعيد الميداني لصعوبة الظروف خاصة في هذه المرحلة[2]، أما صالح الشريف فقد أحدث زوبعة سياسية في دمشق سنة 1909م حتى أصبحت تعرف (بحادثة دمشق)، وألّف فيها سليم الجزائري تأليفا نشره في القاهرة بذلك العنوان وفي دمشق النشطة بالأفكار القومية والإصلاحية أخذ يدعو إلى التآخي بين العرب والأتراك خوفًا على مصلحة الدولة العثمانية، وهذا الحرص منه على التقريب بين العرب والأتراك هو الذي قاده إلى الاختلاف مع الشيخ محمد رشيد رضا صاحب مجلة المنار كان صالح الشريف حيويًا ومؤمنًا بوحدة الدولة العثمانية ولذلك ساهم في حرب طرابلس وصادق أنور باشا بل أصبح مستشاره، وتحمّس لجمعية الإتحاد والترقي، وعيّن ملحقًا بمشيخة الإسلام في إسطنبول، وربط علاقات مع الأمير عبد القادر الجزائري، سيّما مع الأمير على

1- سعيدوني (نصر الدين)، **دراسات وشهادات مهداة إلى الأستاذ أبو القاسم سعد الله**، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 2000م، ص. - ص.. (289-290).

2- نفسه، ص.. 285.

باشا، وقد عيّنه العثمانيون للصلح بين آل سعود وآل الرشيد وقام بنشاط ملحوظ في برلين خلال الحرب[1]، وحادثة دمشق وقعت في الجامع الأموي أثناء إلقاء الشيخ محمد رشيد رضا محاضرة عامة -وقد كتب عنها الشيخ رشيد رضا نفسه في المنار- حيث انبرى له صالح الشريف وأخذ يناقشه وأراد توريط رشيد رضا في مناقشة موضوعات سياسية، فاتهّمه رشيد رضا بأنّه من أنصار أبي الهدى الصيادي والطريقة الرفاعية، ولكنّ الأحداث تنفي ذلك لأن صالح الشريف كان على علاقة مع حركة تركيا الفتاة التي كانت ضد سياسة السلطان[2].

لذلك لا نستغرب أن تتطور الحادثة وتتسع أبعادها، وأن تؤدي إلى تدخل الوالي والسلطات المحلية وإلى إدخال صالح الشريف إلى السجن، وقيام المظاهرات المطالبة بإطلاق سراحه وانتشار الشائعات المجنحة وخروج رشيد رضا من الجامع تحت الحماية وانتقاله من دمشق في جنح الظلام، لقد أسّس الجزائريون بصفتهم الطليعة المغاربية في المشرق العديد من الجمعيات السياسية والخيرية التي تهتم بالمغرب العربي كقضية سياسية وبأحوال المهاجرين منه كقضية اجتماعية، كما لم تفصل هذه الجمعيات بين قطر مغربي وآخر، إذ مارسوا فيه أجمل وأرقى الممارسات الوحدوية المغربية وبرهنوا واقعيا على إمكانية قيام هذه الوحدة فإنهم لم يفصلوا هذه الجمعيات ونضالها عن نضالهم في الأقطار التي هاجروا إليها.

وقد ساندت هذه الجمعيات بشكل ملحوظ النضال ضد الاحتلال الفرنسي لتونس، فمن المعروف أن الجزائريين الذين هاجروا إلى تونس شاركوا في هذا النضال بل كانوا من مؤسسي الحركة الوطنية فيها وأسهموا أيضا في حركتها الثقافية ومثلها شكّلت هذه الجمعيات كشافة الأمير عز الدين الجزائري، فإنها أسّست نادي عمر

1- سعد الله (أبو القاسم)، **بحوث في التاريخ العربي الإسلامي**، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 2005، ص. 144.

2- نفسه، ص.. 145.

المختار إذ كانت تساهم في الحركة الوطنية الليبية كم يدلنا على ذلك كتاب الليبيون في سوريا، وأسهمت في الحركة الوطنية في مراكش، وكل ذلك جنبًا إلى جنب مع إسهامها في الحركة الوطنية السورية والفلسطينية ومن أشهر هذه الجمعيات جمعية مهاجري شمال إفريقيا.

نشرت جريدة المقتبس الدمشقية في عددها رقم 462، (اجتمع الجزائريون والتونسيون المقيمون في الأستانة وقرّروا تأسيس جمعية مختصة بهم وقد خطب كثيرون منهم وأبانوا شكرهم لأحرار العثمانيين)[1] وتُفيدنا الوثائق أن الأمير علي ترأس في دمشق جمعية مهمة اسمها جمعية مهاجري شمال إفريقيا كان لها رابط بين الجمعية الخيرية الإسلامية لأيالة الجزائر المحمية، التي أسّست لمعاضدة ثورة المقراني؛ وكانت جمعية مهاجري شمال إفريقيا بمثابة حزب سياسي دعا علنًا لاستقلال الجزائر وتحالفه مع الألمان ضد فرنسا، وإن رئيسها الأول الأمير على بن عبد القادر يزور الأسرى الجزائريين الذين كانوا يُساقون إلى الخدمة في الجيش الفرنسي فيأسُرهم الجيش الألماني، وكان هؤلاء الأسرى ينظرون إلى الأمير على بن عبد القادر كأمير وطني، ولعلّ أهم وثيقة حتى الآن تدلّنا على نشاط هذه الجمعية هي الجريدة التي كانت تُصدرها باسم المهاجر، وقد صدرت هذه الأسبوعية كما يقول دي طرازي، في 21/ 01/ 1912م، وكان رئيس تحريرها كما هو وارد على صفحتها الأولى التهامي شطة الأغواطي وكان مقرها نفس مقر جمعية مهاجري شمال إفريقيا، ويبدو أن الأمير سعيد بن على ترأس هذه الجمعية اعتبارًا من عام 1915م[2]، ويبدو أيضاً أن هذه الجمعية ظلت قائمة إلى ما بعد 1946م، وإنني اعتقد أن دراسة جمعية مهاجري شمال إفريقيا دراسة تفصيلية هي أمر ضروري لدراسة الحركة الوطنية الجزائرية، والحركة

1- الخالدي (سهيل)، **الإشعاع المغربي في المشرق ودور الجالية الجزائرية في الشام**، الجزائر: دار الأمة، 1997، ص. 164.

2- نفسه، ص. 165.

المغاربية، كما أرى أنه من الأهمية بمكان التركيز على دور طلبة العلم في المشرق وأدوارهم المشرقة من خلال هذه الجمعية؛ ذلك أن من أعضاء هذه الجمعية القياديين الأمير خالد في الجزائر، والأمير عبد المالك في المغرب وغيرهما، ومنها أيضا انبعثت الجمعيات المغاربية في مصر والشام، ومن أبرزها أيضا:

❖ **الجمعية الخيرية الإسلامية:** مقرها الأستانة، ولكن لم يكن «هدفها الرسمي فقط مساعدة المهاجرين الوافدين على تركيا...»[1] لقد كانت اللجنة المسيّرة للجمعية المذكورة تحت رئاسة محمود شوكت، وتضم بين أعضائها يوسف شتوا ن -أصيل طرابلس الغرب- إلى جانب صالح شريف وإسماعيل الصفا يحي وكذلك عبد العزيز جاويش[2].

لقد أصدرت الجمعية الخيرية الإسلامية، جريدة "عالم الإسلام" "Djham Islam" الناطقة بعدة لغات كالتركية والفارسية والهندية فضلا عن العربية، وقد دأبت على حثّ المسلمين على رفض دفع الضرائب[3] وحسب المصادر الفرنسية، فإن مكاتب الجمعية المذكورة كانت متصلة -هاتفيا- بوزارتي الداخلية والشؤون الخارجية للباب العالي، وأن الدولة تمنحها -سنويا- إعانة مالية قدرها 5600000 ريال، وأن نشريات ومناشير ومنشورات الجمعية تُطبع في مطابع الحكومة[4]، كما أن ألمانيا حسب المصادر نفسها كانت تُساهم في مصاريف الجمعية بـ 10000000 ريال، مما جعل الميزانية الإجمالية للدعاية تصل إلى 15600000 ريال وأن الجمعية تحت النظر

1- الماجري (عبد الكريم)، **دور ومساهمة المغاربة في الحركات الاجتماعية والسياسية في العالم الإسلامي قبيل الحرب العالمية الأولى**، شهادة الكفاءة في البحث، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة تونس، تونس: 1977م، ص. 15 "غير منشورة".

2 - Centre de documentation National. B - 3 - 6 , **Le Panislamisme en Tunisie**,

3 - **Ibid**, P3.

4 - **Ibid**.

المباشر للحكومة التركية، حتى أن اجتماعاتها السرية كان يترأسها أنور باشا أو طلعت باشا[1].

❖ جمعية الإخاء للجزائريين والتونسيين:

L'Association Fraternelle des Algéro-Tunisiens :

ظهرت هي الأخرى بالقسطنطينية حوالي سنة 1915م على يد كل من صالح شريف وإسماعيل الصفايحي والفرنسي "تادي قز توفت Thadee gasztovt"*، وعلى حد قول جريدة "الشباب التركي" "Le jeune turque" فإن ثمانين شخصا بين جزائريين وتونسيين مقيمين بالقسطنطينية حضرو الاجتماع، مع العلم أن للجمعية عدة فروع بالمشرق العربي، أهمها فرع دمشق، الذي كان يضم العديد من الأعيان والوجهاء الجزائريين والتونسيين الذين تولوا تمويل نشاط الفرع المذكور[2].

من أهداف هذه الجمعية، مدّ يد المساعدة للمهاجرين للتدخل لفائدتهم لدى السلطات العثمانية، كما كانت تتولى تحرير نداءات عملت على تسريبها بين سكان تونس والجزائر لتشجيعهم على الهجرة بواسطة إغرائهم ليس فقط بالتسهيلات الموضوعة على ذمتهم، وإنما بخصوص الامتيازات التي سيحصلون عليها، ورغم هذا الوجه الاجتماعي الظاهري لجمعية الإخاء فإنها مثّلت وسيلة تأطير ودعاية للجامعة الإسلامية[3].

❖ جمعية الاتحاد المغربي L'Union Maghrébine:

ظهرت في القاهرة سنة 1910م، على يد العديد من الوجهاء وكبار الأثرياء من المالكين العقاريين ومن ذوي النفوذ المالي والمعنوي كرئيسها الأمير محمد شرعي باشا والشيخ علي يوسف صاحب جريدة "المؤيد" وكان أمين مالها الجزائري أمين باي

---

1 - **Ibid.** P4.

2 - Bardin. Op.cit, P230.

3- العجيلي (التليلي)، ص. **دى حركة الجامعة الإسلامية في المغرب العربي** (1876 - 1918)، تونس: دار الجنوب للنشر، 2005م، ص. 204.

المغربي[1]، وعلى حدّ قول خوالدية صالح فإن الجمعية المذكورة كانت جمعية إغاثة وإعانة للتونسيين والجزائريين والمغاربة عموما والمستقرين في تونس[2].

ومن جهته فإن دي فرانس De France الوزير الفرنسي المفوض بالقاهرة -أوضح أن ألمانيا تعوّل كثيرًا على جمعية الاتحاد المغربي في إثارة مسلمي شمال إفريقيا ضد فرنسا في صورة اندلاع حرب حتى أنها تعهّدت في الاجتماع الذي عقدته بالإسكندرية يوم 20 سبتمبر 1911م بأنْ تدفع إليها 600000 فرنك، فتمّ على حدّ قول دي فرانس قبول العرض على أن تبدأ الدعاية انطلاقا من الجزائر[3].

وفي اجتماع أكتوبر تقرّر توجيه دعاة لإثارة الاضطرابات في الجزائر*، ولئن طغى على جمعية الإخاء السابقة الطابع الاجتماعي بالدرجة الأولى، فإن جمعية الاتحاد المغاربي طغى عليها الطابع السياسي لمناهضتها الواضحة للاحتلال الفرنسي بشمال إفريقيا، أين كان لها فرعان أحدهما في الجزائر والآخر في تونس.

---

1 - العجيلي، نفسه، ص. 206.

2- Bouyoc R."L'Union Maghrébin, société de secours mutuels", **La tunisie Française**, du 27/11/1912. P1.

* **تادي أرتور موريس قزتوفت**: عون ألماني من أصل بولوني، ولد بباريس في 8 جوان 1881م، اعتنق الإسلام وتسمى باسم "سيف الدين العسكرية بتونس أين كان يقيم، عدّته سلطات الاحتلال في تونس مناصرا لأفكار الشبان الأتراك. أنظر: الأرشيف الوطني التونسي

- Archives Nationales (Tunis), **Série E, C550, Dossier 30, Sous dossier 15. doc n°1, 14, 18, 21.**

3- Archives Nationales (Tunis), **Série E, C550.30/14, "Le président du conseil du ministère des affaires étrangères à Dobler**, délégué à la R.G de la R.F.à tunis", Le 24/9/1912.

4- للتوسع حول هذه الجمعية راجع:

- Archives Nationales(Tunis), **Série E,C550 .Dossier 30 / 23**

❖ **جمعية الشرفاء (أو الأشراف):** تشير المصادر الفرنسية إلى أن أواخر سنة 1913م عرفت تأسيس جمعية جديدة للجامعة الإسلامية في المدينة المنورة وهي جمعية الشرفاء، على يد محمد المكي بن عزوز وحسب المصادر المذكورة فإن جمعية الشرفاء تزمع إثارة الاضطرابات في بعض واحات أقصى الجنوبين الجزائري والتونسي وأنّ أحد مبعوثيها قد أُوفد إلى الإسكندرية في مهمة تقضي بتوجّهه إلى كل من الجزائر وتونس[1].

إن تضخيم السلطات الفرنسية لنشاط مثل هذه الجمعيات وصعوبة تتبعها بدقة لتحركات مختلف عناصرها وفروعها جعل المعلومات حوْلها لا تخلو من التضخيم والتحامل وغياب الدقة، وحمْل الأمور دائما محمل المبالغة بتهويل الأحداث وسبقها بتوقّعات تصل أحيانًا إلى حد الجزم، ثم تأتي الوقائع لتكذّبها وتؤكّد أن ما ذهبت إليه تلك المصادر لا يعدو أن يكون من قبيل التخمين والظن الذي لا يغني من الحق شيئًا، من ذلك أنّ تلك المصادر ذهبت إلى أن محمد المكي بن عزوز كُلّف من قبل عبد العزيز جاويش بالاتصال -في تونس- بعدة شخصيات موالية للجامعة الإسلامية قصد تنظيم دعاية نشيطة مناهضة لفرنسا وتبعًا لذلك فإن محمد المكي بن عزوز كان سيتحوّل إلى تونس قصد الاتصال بصهره مصطفى بوخريص وعندما ضُربت حراسة مشددة على منزل هذا الأخير-حسب الرواية الفرنسية- فإن بن عزوز تعذر عليه المجيئ، غير أن الحقائق التاريخية تذكر أن بن عزوز لم يتحوّل إلى تونس أصلا بعد اختياره للمشرق كمنفى اختياري[2].

1- Archives Nationales (Tunis), **Série E, C550, Dossier 30/23, doc n° 5.** "Le gérant de l'Agence et du consulat général de France au caire au ministre des affaires étrangères à Paris, Le 10/10/1913.

2- Archives Nationales(Tunis), **Série E, C550, Dossier 30 / 23, note datée du 6/11/1913, doc n°6.**

❖ **الاتحاد الإسلامي**: نشأت بمبادرة من الجزائري خوا لدية صالح[1] الذي نشر مقال بإمضائه تحت عنوان "نداء الثورة" صدر بعدد يوم الاثنين 1جانفي 1906م من جريدة La Dépêche Tunisienne ذهب فيه إلى أن أوروبا تتّبع خطّة مُحكمة هدفها تقويض ركائز الإسلام، الأمر الذي يحتّم -حسب رأيه- على العرب تكوين جبهة موحّدة للوقوف في وجهها، ويختم دعوته الموجهة إلى بني جلدته في الجزائر بحثهم على الثورة على الاحتلال الفرنسي مؤكدًا لهم أنّه عند اندلاع المعركة الحاسمة ستجدون في مقدمتهم "الشرفاء المكوّنين للجنة المركزية للاتحاد الإسلامي لتحمّل المسؤولية[2] مُبرزًا أن كل قضية عادلة لابدّ لها من شهداء مؤكدًا في الختام أن على أوروبا أن تعْلم بأنّ الأمة الإسلامية تمتلك قوّة رهيبة تمكّنها من تقرير مصيرها[3].

وفي مقال له بعنوان "الإسلام" نشرته له L'Egyptien Gazette ليوم 02/ 04/ 1906م أوضح خوالدية تعلّقه الشديد بالجامعة الإسلامية، موضحًا أن ما تقوم به القوى الاستعمارية من مساعي لتشتيت المسلمين القصد منه هو إضعافهم، مؤكدًا أنه ليس لهؤلاء من حل "سوى الوقوف كرجل واحد ضد المحتلين الغاصبين"، إن دراية خوالدية بشؤون السياسة الأوروبية وتيقّنه القطعي صحبة أعضاء لجنة الاتحاد الإسلامي من حقد الغرب على المسلمين، واحتقاره لهم جعله يجزم بأنّ أوروبا تسعى جاهدة إلى القضاء المبرم على الإسلام الذي يعيق مصالحها، كما أنها تهدف -على حد قوله- إلى تقويض الخلافة الحالية واستعباد المسلمين[4]، إن إيمان خوالدية بجدوى فكرة الجامعة الإسلامية جعلته يعتبر أنه "لا مجال لتقدّم المسلمين وانتعاشهم حضاريًا وثقافيًا

1- Bouyoc, Op.Cit , P1.

2- هلال (عمار)، "مساهمة الخالدي ص. الح بن عمار في التعريف بالقضية الجزائرية مغربيا وعربيا وإسلاميا"، **الثقافة**، ع 99 الجزائر: 1987م، ص. 120.

3- نفسه.

4- Bouyoc, Op.Cit, P1.

واقتصاديًا إلا في الابتعاد عن الضغائن الثانوية وتوحيد صفوفهم "مقدمًا لهم"اليابان" كمثال على ما يقول![1].

إن تشبّع الخالدي أو خوالدية بمبادئ الجامعة الإسلامية جعلته ليس فقط يؤُسسُ أو من بين مؤسسي هيئة سياسية تحت اسم "الاتحاد الإسلامي" فحسب، وإنما دفعه عمليًا إلى الدخول في مفاوضات مع السنوسيين «الذين وافقوه على دعم خطة هيئة الاتحاد الإسلامي وتنفيذها»[2]. ولئن ذهب البعض إلى أن مقر الهيئة المذكورة كان يوجد -آنذاك- في باريس وليس بتونس «إذ تؤكد عدّة وثائق أنّ نداءً مماثلاً كان قد وُجّه بتاريخ 28 ديسمبر 1905م إلى الجزائريين انطلاقًا من باريس من طرف الهيئة المذكورة ووُزّع على نطاق واسع بالأخص في القرى والأرياف الجزائرية.. فإنه أمكنّنا من خلال بعض مراسلات صالح خوالدية نفسه الوقوف على تركيبة جمعية الاتحاد الإسلامي وأسماء بعض العناصر التي كانت تنشط في إطارها.

يبدو أن الجمعية المذكورة كانت تتكون من عدة لجان محلية وواحدة مركزية يرأسها خوالدية وهي صفة أمضى بها بياناته ونداءاته التي نشرَها في الصحف وختَم بها حتى مراسلاته الخاصة، في حين كان المسمى زكي باي يشغل خطة الكاتب العام المساعد، أما المدعو "الحاج العربي المكّاوي" القاطن بطنجة، فيعتبر مندوبًا للجنة المركزية التي كان يترأّسها الخالدي!، كما تكشف المراسلات -الخاصة- للخالدي عن تباُين في طرق العمل داخل اللجنة المذكورة، حيث مثّلت علاقات بعض أفرادها بألمانيا المحور الأساسي للاختلاف بينهم، إذ احتج الخالدي على العلاقات الحميمة التي كانت تربط زميليه -الحاج العربي المكّاوي، وزكي باي- بممثلي ألمانيا في المغرب

1- هلال، مساهمة الخالدي، **الثقافة**، ع 99، ص. 121.

2- نفسه، ص. 120.

الأقصى[1]، فهل كان الخالدي مناهضًا بالفعل لألمانيا التي تدعّمت علاقاتها ليس فقط بالدولة العثمانية وإنما بالعديد من الوطنيين الذين كانوا آنذاك ينشطون في إطار الجامعة الإسلامية؟

إن صالح خوالدية كانت له علاقات وطيدة مع الأوساط الدبلوماسية الفرنسية في أعلى مستوى وهي مكانة أهّلته لثقة الأوساط المذكورة فيه، حتى أنها كلفته بالقيام بعدة مهام سرية لفائدة كل من وزارتي المستعمرات والشؤون الخارجية الفرنسية، وأمْكن لخوالدية سنة 1903م تقديم دراسة عن الإسلام، الأمر الذي جعل الرجل يطمح إلى تعيينه في إحدى المراكز التابعة للمصالح الفرنسية بالمشرق لكن تطوّر الأحداث في غير صالحه، وصدور حكم عليه بالجزائر -كما ذكرنا آنفا- دفعه إلى مغادرتها إلى تونس أين نَشَر نداءه الشهير - نداء الثورة- يوم 01/ 01/ 1906م في محاولة منه -كما ذهبت إلى ذلك بعض الصحف آنذاك- إلى لفْت الأنظار إليه والحصول على المكانة التي أوشك على نيلها.

إن خيبة الخالدي في الأوساط الدبلوماسية الفرنسية وتخلّي "الكي دورسي" عنه دفعته إلى ردّة فعل هدفها وضع نفسه تحت الأضواء فأمضى مقاله "نداء الثورة" بصفتين سياسيتين: أولاهما بصفته "رئيس اللجنة المركزية للاتحاد الإسلامي وثانيتهما بصفته مكلّف -سابقا- بمهمّة لدى وزارتي المستعمرات والشؤون الخارجية الفرنسية"[2].

كما أن خوالدية عندما وصل إلى تونس - أين قضى ثلاث سنوات- دخل في علاقات مع "نادي قز توفت" -السابق الذكر- وعندما حلّ بمصر لأول مرة دخل أيضا في علاقة مع البارون "ماكس خون أوبنهايم" (مستشار البعثة الألمانية بالقاهرة)، وهو ما

1- Archives Nationales (Tunis), **Série E, C550, Dossier 30 /12**, Salah ben omar el Khaldi - Président du Comité Central de L'Union Islamique - au consula de France à Malte, Valetta le 19/10/1906, doc n° 78.

2- العجيلي، ص. **دى حركة الجامعة الإسلامية**، ص. (214 - 215).

عزّز فرَضية الفرنسيين من أنّ خوالدية أصبح عونًا ألمانيًا يعمل جاهدًا على إثارة الاضطرابات في وجه الوجود الفرنسي بشمال إفريقيا، لكن يبدو أن هذه التحالفات ولاعتبارات لم نتمكّن من تحديدها قد تغيّرت ابتداء من مفتتح سنة 1907م، حيث اعترف خوالدية بعد الحملة الصحفية التي شنّها في جرائد القاهرة على ألبارون أوبنهايمْ بأنّه بالفعل اغترّ بالسياسة الإسلامية لألمانيا، لكنّه انتهى إلى الوقوف على حقيقة زيفها واستغلالها لمشاعر المسلمين الذين كانوا -آنذاك- يبحثون عن نصير يتشبّثون به في مواجهتهم للتحديات التي كانت تتوالى عليهم، ومن خلال هذا نتبيّن الحرص الشديد لخوالدية صالح على نفْي أيّة صلة له بألمانيا في تأكيد منه على ٱستقلالية جمعيته ٱلاتحاد الإسلاميْ والتي لا يُنكر وقوع بعض عناصرها تحت هيمنة ألمانيا التي عملت على توجيههم وتوظيفهم في خدمة مصالحها.

إنّ حرص صالح خوالدية على التأكيد على استقلالية اختيارات لجنته ونفْي كلّ صلة لها بألمانيا جعله لا يؤكد فقط تصميمه على اتخاذ ٱجراءات لمقاومة التدخل الأجنبي في الشؤون السياسية والدينية للجْنته[1] فحسب، وإنما على إخبار السلطات الفرنسية بتباينه -في طرق العمل- مع بعض العناصر العاملة معه في صُلب جمعية الاتحاد الإسلامي وإحاطتها علمًا حتى بالتحرّكات التي تنوي تلك العناصر القيام بها في المستعمرات الفرنسية، وهو إخبار لا يؤكّد فقط افتقار الجمعية المذكورة إلى مؤسسات ذات نظر يقع الرجوع إليها للحسم في مثل تلك الاختلافات، وإنما يُبرهن على أنّ خوالدية لم يقطعْ صلته نهائيًا بالسلطات الفرنسية التي قد يكون تقديمه لخدمات لها من قبيل ما ذكرنا مدعاةً لها لرد الاعتبار إليه !!

ومن جهته فإن محمد الخضر حسين الجزائري، الذي كان قد غادر البلاد التونسية سنة 1912م، قد كتب في العديد من الصحف والمجلات، مؤيدًا الخلافة العثمانية،

1- Archives Nationales (Tunis), **Série E, C550, Dossier 30 /12, doc n 78.**

داعيًا إلى توثيق عُرى الألْفة بين العرب والأتراك، وقد كُلّف صحبة أخيه بدمشق والطيب التواتي بحَلَبْ بمهمّة تقضي بالتحرّك بين المهاجرين ببلاد الشام للقيام بينهم بدعاية ضد فرنسا وتنفير الناس منها ودعوتهم إلى مقاطعة البضائع الفرنسية[1].

لقد كانت لتلك المجهودات الدّعائية نتائجها وصداها خصوصًا مع اندلاع الحرب العالمية الأولى ودخول الأتراك إلى جانب الألمان، ففي بيروت-مثلا- بادر الوالي إلى الاجتماع بأهمّ العلماء وعلي رأسهم القاضي والمفتي نقيب الأشراف، وأمدّهم بالفتوى الشريفة التي جعلت "الجهاد فرضًا على كل مسلمي الأرض للدفاع عن الإسلام والأمّة والخلافة ضد القوي المعادية..."[2]، كما تمّت يوم الجمعة قراءة الفتوى من أعلى منابر كل المساجد على أن تُعاد قراءتها في الجامع العمري الكبير[3]، كما تمّ كذلك تحرير نداء موجّه إلى المسلمين الخاضعين لكل من بريطانيا وفرنسا وروسيا[4]، وكان من بين الممضين "عمر الورغلي" (الورقلي) الجزائري وكذا أحمد الشريف السنوسي.

إنّ حرص الدولة العثمانية وحليفتها ألمانيا على تجاوز كل الحدود، واختراق كلّ ضروب الرقابة للوصول إلى المسلمين أينما كانوا قصْد تثْويرهم ضدّ الحلفاء والعمل على إيجاد اضطرابات في مستعمراتهم جعلَها لا تقتصر فقط على وسائل دعائية مختلفة، وإنّما تحرص على الاستفادة من وجاهة العديد من الوطنيين من"المهجّرين" وضحايا السياسات الاستعمارية في مختلف البلدان بكسْب تأييدهم ووُقوفهم في صفّها وتشريكها لهم ليس فقط في حملات دعائية شديدة اللهجة وإنما إشراك بعض "الرموز" التي لها وجَاهتُها والمعروفة بصيتها ووزنها، في عمليات عسكرية شكّلت دليلاً

---

1 - العجيلي، ص. **دى حركة الجامعة الإسلامية**، ص. 199.

2 - Institut supérieur d'Histoire du Mouvement National (Tunis), - **A.M.A.E, Bobine 75, C 1651, F 68, Affaires musulmanes II**, Dossier unique.

3 - **Ibid**, F 65.

4 - **Ibid**, F 68.

عمليًا على ولائها للدولة العثمانية حيث أضفى وقوفُها إلى جانب الخلافة مصداقية على دخول الخلافة إلى جانب ألمانيا.

2- النشاط المهجري في أوربا: لقد اهتمت ألمانيا بحُكم علاقتها التاريخية مع دولة الخلافة الإسلامية بالعالم العربي قبل الحرب العالمية الأولي، وترجمت الكثير من أدبياته لمعرفتها، ومعرفة عدوّها المتمثل في القوتين الفرنسية والانجليزية، وازداد تبني هذا الاتجاه في السياسة الألمانية بعد زيارة وليام الثاني إلى المشرق العربي (1898م) ثم المغرب الأقصى في (1905م)، وكان هدفها من ذلك إثارة المناطق الإسلامية ضد أعدائها، لهذا نجدُها تجمَع كل المعلومات عن المنطقة لتضع خطّة ذكية للدعاية التي تؤدى إلى هذا الهدف فبدأت بجلب الوطنيين العرب إلى ألمانيا، ولقدْ أوضحت ألمانيا منذ 19 مارس 1913م أنّ هدفها المساعدة على إحداث ثورة عامة في كامل إفريقيا الشمالية رغم معارضة بعض المستشرقين الألمان لهذه الفكرة بحجّة أن هذه الأخيرة لم تكن لها في تلك الفترة لا فكرة وطنية ولا عواطف شعبية، غيرَ أن ألمانيا أخذت بالرأي الأخير الذي يدعو إلى القول بأن:"عرب شمال إفريقيا يعملون لتحطيم فرنسا، ويُشكّلون خطرًا عظيمًا عليها، وأنّ فرنسا لا تستطيع التوفيق بين المسيحيين والمسلمين خلال الحرب، فجاءت عملية قنْبلة مينائي عنابة وسكيكدة في 4 أوت 1914م، وعملية تخليص الأسرى المغاربة من معسكر قرب مدينة "بادربورن Baderborn"، ويمكن إدراج هذا العمل ضمن مخطّط ألمانيا لإثارة المنطقة ضد التواجد الفرنسي بها، ولقد تأكّد هذا التوجه مع دخول الدولة العثمانية الحرب إلى جانب ألمانيا[1].

وهو ما جعل آمال المثقفين المغاربة معلّقة على الوفاق، فتولّدت أفكار ومحاولات وحدوية سواء على الساحة المغاربية أو في المهجر التي كانت أكثر تنظيمًا، نقيض

1- Ageron (ch - R), **les Algériens musulmans et la France**, Paris: P.U.F, 1968, TII, P1175.

الأولى التي كانت في مجملها متفرّقة ومتقطعة لأنها في أغلبها كانت عبارة عن مبادرات فردية، وكان نشاط هؤلاء المهاجرين خلال الحرب العالمية الأولى يندرج في نطاق حركة الجامعة الإسلامية التي ترمى إلى توحيد كلمة المسلمين كافة تحت سلطة الخليفة لمحاربة أعداء الإسلام، وكانوا بمساندة من تركيا وألمانيا يقومون بدعاية حثيثة بين أبناء شمال إفريقيا في الجيش الفرنسي الذين وقعوا في الأسر عند الألمان بدعوتهم إلى الانضمام إلى الصفوف التركية[1].

وفى هذه الدعاية للوحدة الإسلامية كان يقع التركيز على ما تسلكه ألمانيا حليفة الخليفة العثماني من حسن معاملة في سياستها اتجاه المسلمين مع التأكيد على أن هذا يخالف موقف الحلفاء الذين ما انفكوا على مرّ الأزمنة معادين للإسلام، وانطلاقًا من هذه الوجهة مارس هؤلاء المهاجرين أمثال: (صالح الشريف[2]، محمد الخضر حسين[3]، إسماعيل الصفايحى[4]، عبد العزيز جاويش[5]..) نشاطهم طيلة الحرب العالمية الأولى، ولهذا الغرض تكوّنت ببرلين في نهاية سنة 1916م لجنة لاستقلال الجزائر والبلاد التونسية برئاسة صالح الشريف وبمشاركة شاب جزائري يدعى محمد مزياني

---

1 - المحجوبي (علي)، **جذور الحركة الوطنية التونسية**، قرطاج: بيت الحكمة، 1999م، ص. 154.

2 - للاطلاع على ترجمته ومجمل نشاطاته:

Institut supérieur d'Histoire du Mouvement National (**214.213**) **(A.M.A.E), Bob p76, C1654.F**

3 - للاطلاع على ترجمته ومجمل نشاطات:

- **F(336 et 886)** - Archives Nationales(Tunis), **Série E, C550, Dossier30/15.**

4 - للاطلاع على ترجمته ومجمل نشاطاته:

- Archives Nationales (Tunis), **Série E, C550, Dossier 30/15 F881 - doc n°120** -'Note Commerçant Si Ismail Séfaihi ancien cadi - hanéfite à Tunis, Le 14/2/1921

5- للاطلاع على ترجمته ومجمل نشاطاته:

- Archives Nationales (Tunis), **Série E, C550, Dossier 30/15 F336, doc n° 5**, "fouchet général de l'agence de France au caire à Point caré président du conseil, ministre de affaires étrangères Le caire " Le 12/19/1912.

التلمساني، وفى سنة تأسيسها بالذات بمناسبة الندوة الاشتراكية المنعقدة ببيرن (سويسرا) أصدرت هذه اللجنة نشرية بعنوان "مطالب الشعب الجزائري-التونسي"[1]

وجماعة المهجر هؤلاء هم من ذوي التكوين الزيتوني ومعتنقون بقوّة لتيار الجامعة الإسلامية وكانت نظرتهم إلى الاستقلال تقليدية، فقد كانوا يتصورونه في شكل حكم ذاتي في نطاق الإمبراطورية العثمانية. ولتحقيق أهدافهم، كانوا يراهنون على تأييد إمبراطوريات الوسط، فهم لا يتصورون استقلال شمال إفريقيا خارج نطاق السلطنة العثمانية.

وفي سنة (1917م) بدأت هيئة شمال إفريقيا في عملها المتمثل في جمع أسرى الحرب من المغاربة في ألمانيا وتركيا، وتنظيمهم ضمن فرقة واحدة تزوّد بالسلاح والذخيرة وترسل عن طريق الغوّاصات إلى طرابلس وكان مقرّرًا أن يرأسها على باش حامبه بنفسه، ولكن قبل أن يبدأ في نقل أركان هذه الحملة من عثمانيين ومغاربة إلى طرابلس، أصيب باش حامبه بمرض خطير مات على إثره بأسبوع قبل هدنة (مدرس)[2]، وبذلك «فقدت النخبة التونسية، دماغها المفكر ورأسها المدبر..»[3].

وفي المؤتمر الثالث الذي عقد في لوزان سنة 1916م، مثّل قضية الجزائر وتونس السيد محمد باش حامبة، هذا الأخير الذي أخبر المؤتمرين بأنّ الجزائريين الذين أصبحوا فرنسيين بعد ثمانين 80 سنة من الاحتلال الفرنسي، لا يعدّون 500 أو 600

---

1 - الآجري (محمد الصالح)، **تطور الحركة التونسية**، ج1 تونس: الدار التونسية للنشر، 1974، ص. 163.

2- بن الحاج (عثمان الشريف)، **أضواء على تاريخ تونس**، تونس دار سلامة للنشر، 1981م،، ص. 196.

3- المدني (أحمد توفيق)، **حياة كفاح (مذكرات)**، ج1، الجزائر: ش. و. ن. ت، 1976م.، ص. 73. -يراجع أيضاً: -حمادى (الساحلي)، "نشاط الوطنيين التونسيين في المهجر أثناء ح. ع. **ا، م.ت.م**، ع (33 - 34) تونس: جوان 1984م، ص. -ص. (182 - 192).

شخص، وقد طالب باش حامبه باسم القومية بالحكم الذاتي لكل إفريقيا الشمالية، وشاركه في هذا النشاط المعادي لفرنسا الجزائري الشيخ الخضر حسين[1].

كما كان من قادة هيئة التشكيلات الجزائري على رضا، وكذا القائد الجزائري محمد برالي الذي كان يتمتّع بنفوذ كبير في منطقة الحدود المشتركة بين ليبيا والجزائر وتونس[2]، وقد كان الأمير علي ابن الأمير عبد القادر، زعيم المهاجرين الجزائريين شخصية هامة في تلك الفترة، وامتدت الدعاية بين الجزائريين إلى النشاطات السياسية، فبيْن سنتي (1915-1916م) أنشئت في برلين اللجنة الإسلامية لاستقلال إفريقيا الشمالية، وكان من منشئيها الأمير علي، وعدد من الفتيان الجزائريين الذين كانوا يضمون مثقفين ساخطين، وفي سنة 1916م اجتمعت لجنة استقلال إفريقيا الشمالية في برلين، ووضعت خطة عمل ضد فرنسا في المغرب العربي، حيث وقعت اتصالات بينهم وبين مولاي حفيظ سلطان المغرب الأقصى المخلُوع والمسؤولين في كل من الجزائر). والمغرب الأقصى فتسرّبت بعض المناشير والكتيبات مع نغمة الجامعة الإسلامية إلى الجزائر من طرابلس وتونس، تنادي بالثورة ضد فرنسا[3].

وترأّس لجنة استقلال الجزائر وتونس، الجزائريان صالح الشريف ومحمد مزيان التلمساني بالإضافة إلى التونسي إسماعيل الصفايحي وتفرّعت هذه اللجنة عن لجنة تـحمل نفس الاسم أسّسها في نفس السنة على باش حامبه بإسطنبول، ثم ظهرت

1- سعد الله (أبو القاسم)، **الحركة الوطنية الجزائرية**، ط4، ج2، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1992م. ص. 220. يراجع أيضا:

- Bach - Hamba (M) , **Le Peuple Algéro - Tunisien et La France**, Tunis: Fondation Nationale, 1991, PP(124 - 127).

2 - Mahdjoubi (Ali), **Les origines du mouvement national Tunisie**. Tunis: P.U.T. 1982.; P .147.

3 - سعد الله، الحركة الوطنية، ج2، ص. .ص(257 - 259).

لجنة فرعية أخرى بجنيف برئاسة محمد باش حامبه[1] وكلّ هذه اللجان تضمّ أعضاء جزائريين ناشطين[2]، أعمال هذه اللجنة برزت خصوصًا في مجلة المغرب (la Revue du Maghreb) الناطقة باللغة الفرنسية والتي أسّسها محمد باش حامبه في شهرماي 1916م بجنيف[3]، حيث كانت تُسحب في ألف نسخة وتصْدر شهريًا ولكن بصفة متقطعة ومتنامية أحيانًا إلى نهاية سنة 1918م [4]، حيث جاء في ديباجة مجلة المغرب أنها "منبر مطالب أهالي الجزائر وتونس ومراكش وطرابلس"، وفي عددها الثاني كتب أحد الجزائريين قائلا: « إننا جزائريون وسنبقي جزائريين مسلمين..»[5].

وقد تدعّم نشاط الجزائريين وإخوانهم التونسيين بقدوم شخصية فذّة هي شخصية محمد الخضر حسين (1873-1958م) الذي وُلد بقرية من قرى الجزائر في أسرة تعتزّ بعراقة النسب(وأسرته ترجع إلى بيت العمري بطولقة)، وقد راعه أن يرى الاحتلال الفرنسي يأخذ بمقبضه الحديدي على أعناق المسلمين في أصقاع المغرب، فطفق يدعو إلى اليقضة والتحرّر وأنشأ مجلة السعادة العظمى- أول مجلة عربية تصدر بتونس) لنشر محاسن الإسلام وفضْح أساليب الاستعمار فآذاه الاستعمار وحكَم عليه بالإعدام[6]، حيث اضطر إلى الفرار إلى الأستانة هو وإخوته الأربعة من بينهم زين

---

1 - Augeron, Ageron (ch - R), **Histoire de l'Algérie contemporaine (que - sais - je)**, TII, Paris: P.U.F, 1977, P 263.

- الهادي الحسني، " الشيخ ص. اخ الشريف الجزائري المجهول "، **جريدة الشعب**، عدد 7023 الجزائر: 17 مارس 1986م.

2 - سعد الله، **الحركة الوطنية**، ج 2، ص. (220 - 221).

3 - Ageron, **Histoire de l'Algérie** ,TII .P.263

4 - الفاسي، **الحركات الاستقلالية**، ص. 55.ينظر:

- Tlili (B), La Grande Guerre et les questions tunisienne, Les Groupements de la Revue du magreb (1916-1918)", **In S.H** ,T26 ,N°(101 - 102)Tunis 1978 ,P.P (66- 70)

5 - Merad (A), " Conformation du presse Islamique à Alger", **I.B.L.A**, , N:° 2 Vol .27 Tunis: 1964 ,P.16

6- بن عاشور (محمد الفاضل)، **أركان النهضة الأدبية بتونس**، تونس: مكتبة النجاح، 1381هـ، ص. ص. (40- 42)،

العابدين (الذي سيجمع تراث أخيه)، ومحمد المكي ولكنه فوجيء بانهيار آماله حين وجد عاصمة الخلافة مسرحًا للدسائس المغرضة والمؤامرات الرخيصة، فهاجر إلى دمشق وحرصَ على البقاء بها مدرّسًا للعربية في المدرسة السلطانية[1]، وكان من ضحايا الحاكم التركي لبلاد الشام جمال باشا، لكنّه أفْرج عليه بعد ستة أشهر من ذلك ليُستدعى إلى الأستانة سنة 1915م ويعيّن منشئًا عربيًا بوزارة الحربية، وقد يكون وراء هذا التعيين على باش حامبة، ليكون الشيخ الخضر قوة تعاضدهم بالعمل من أجل تحرير المغرب العربي، حيث يعملون على إعداد حملات تحريرية مسلحة ضد الاستعمار الإيطالي والفرنسي، وكانوا يتحركون بين العواصم ولهم اتصالاتهم السرية وأنصارهم الكثيرون في تونس والجزائر[2].

بعدها كُلّف الشيخ الخضر بمهمة في ألمانيا، حيث كان عدد أبناء الشمال الإفريقي المجنّدين في الجيش الفرنسي يزيدون عن المائتي ألف جندي، ملخّصه هدفه في بثّ الدعاية في صفوفهم لحمْلهم على القتال ضد فرنسا، حيث حلّ الخضر في ألمانيا مع بعثة من العلماء المسلمين من بينهم الشيخ الجزائري صالح الشريف ومكث في ألمانيا زهاء تسعة أشهر، ثم تردّد بين الأستانة وبرلين إلى أواخر الحرب العالمية الأولى،

- يراجع أيضا: - الطويلي (أحمد)، **شخصيات تونسية**، تونس، الشركة التونسية للنشر، 2004، ص. -ص. (60-67).

- الجندي (أنور)، **الفكر والثقافة المعاصرة في شمال إفريقيا**، القاهرة: الدار القومية، 1965م. ص. -ص. (166-172).

- شوقي (أبو الجليل)، الإسلام وحركات التحرير العربية، دمشق: دار الفكر، 1991م، ص. -ص. (117 - 19).

1 - البيـــومي (محمد رجب)، **النهضة الإســلامية في سير أعلامها المعاصــرين**، بيروت: منشورات المــكتبة العصرية 1980م، ص. -ص. (65 - 70).

2 - كرو (محمد أبو القاسم)، **محمد الخضر حسين**، تونس: دار المغرب العربي، 1973م، ص. 74.

حيث أقام مرة أخرى زهاء السبعة أشهر[1]، ولا نملك بالقدر الكافي معلومات دقيقة حول حركة تنقلات الوطنيين الجزائريين خلال هذه الفترة وذلك راجع إلى: -كثرة تنقلاتهم المتتالية بين الحواضر الأوروبية والمشرقية.

- قلة المعلومات بسبب السرية التي طبعت تنقلاتهم نظرًا لحالة الحرب.

- غلَبة بروز الإطار السياسي والديني(الجماعي) على النشاط الفردي وهذا بدوره راجع إلى محاولة تغليب العمل الجماعي على العمل الفردي من أجل تنسيق الجهود والوصول إلى تحقيق الهدف بسهولة وبسرعة.

وعندما كان الجو ملائما في ألمانيا وسويسرا تنقّل التونسيين والجزائريين إلى برلين وجنيف وغيرها من المدن الأوروبية لمواصلة النشاط السياسي من أجل تحرير المغرب العربي ككل، حيث كانت التسهيلات من طرف السلطات العثمانية والألمانية، إضافة إلى وجود عناصر عربية ذات اتجاه إسلامي كانوا سندًا لإخوانهم المغاربة[2].

ومن الجزائريين الذين هاجروا إلى برلين أيضاً الشيخ الصالح الشريف الذي حلّ في نوفمبر أو ديسمبر من سنة 1914م، برفقة الأمير على باشا الجزائري، ثم تعاقبت أسفاره إلى برلين انطلاقًا من اسطنبول حيث سعى في سنة 1916م بالصلح بين أمراء نجد من آل السعود وآل الرشيد الذين دخلوا في قتال قبلي[3]، وصالح الشريف

1- المرجع نفسه، ص. 25 يراجع أيضا: محمد الخضر حسين: **تونس67 عاما تحت الاحتلال الفرنساوي**: تح: كمال العريف تونس: منشورات الجوية، 1989 للاطلاع على ترجمته راجع:

Dossier Archives Nationales (Tunis), **Série E , C550 30/15** F(1367, F336) et 886

2 - وارنير آندو "الوطنيون العرب ونشاطهم الصحفي حتى نهاية الحرب العالمية الأولى"، **الأصالة**، ع52، ص. - ص. (55 - 57).

3 - التميمي (عبد الجليل)، "من أعلامنا البازين والمنسيين" الشيخ ص. الخ الشريف" م.ت.م، عدد (23 - 24) تونس: نوفمبر 1981م. ينظر محمد الفاضل بن العاشور، "الشيخ ص. الخ الشريف"، **المجلة التونسية**، مج8(1). تونس: أفريل 1954م، ص. -ص. (118 - 125).

(1862- 1920م) من بيت جزائري عريق[1]، وهاجر من تونس إلى المشرق حوالي 1916م ونشط في اسطنبول ودمشق، وكان على صلة بأعيان المهاجرين من أبناء الأمير عبد القادر وغيرهم، وقيل أنه عارض الفكرة الإصلاحية المعتدلة التي دعا إليها رشيد رضا حتى أنهّم عزوْا محاولة اغتيال رشيد رضا سنة 1909م إلى اعتراضاته عليه[2]، ثم نشط الشريف مع جماعة الاتحاد والترقّي وشارك في حرب طرابلس إلى جانب أنور باشا حيث أصبح فيما بعد مستشارًا في شؤون المغرب العربي لتكلّفه الحكومة التركية بعدها بالقيام بمهمات خاصة في ألمانيا صحبة الشيخين إسماعيل الصفايحي والخضر حسين، والتي تتمثل بالخصوص في الاتصال بأسرى حرب المغاربة وتنظيمهم ضمن فرقة واحدة تُرسل إلى طرابلس عن طريق الغواصات[3]، وما إن وصل صالح الشريف إلى برلين حتى كوّن رفقة بعض الجزائريين والتونسيين لجنة استقلال تونس والجزائر-السابقة الذكر-، وبناءً على ذلك فقد اعتبرته الحكومة الفرنسية (من أخطر الدّعاة العاملين في خدمة ألمانيا وتركيا)[4]، نتيجة التأثير العميق الذي أحدثته نشاطاته في الساحة السياسية خصوصًا التونسية.

---

1 - Centre de documentation National,.Série .M.N, **Dossier, Salah Chérif Ettounsi**,B 2.84 doc N:° 01

الطيب بن عيسى، "حياة الشيخ ص. الح الشريف"، **جريدة الوزير**، عدد 16، 17 ذي القعدة 1338هـ/2أوت 1920م.

2 - بيتر هاين، قومي من شمال أفريقيا في برلين أثناء الحرب العالمية الأولى (صالح الشريف التونسي)، **م.د.ت.ع** الجزائر: 1984 يراجع بيتر هاين، "صالح الشريف التونسي"، **ح.ج.ت**، عدد 24. تونس: 1985م، ص. -ص. (101 106).

3 - حمادي الساحلي، "الوطنيون التونسيون" **م.ت.م**، ع (33 - 34)، ص. -ص. (184 - 184) ينظر أيضا: بيتر هاين، "**صالح الشريف**"، ح.ج.ن عدد 24، ص. 107. - سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج5، ص. 616.

4 - حمادي الساحلي، "الوطنيون التونسيون "، **م.ت.م**، ع (33 - 34)، ص. 185.

وأول ما يلاحظ على هذه الشخصية الجزائرية الفذة، هو وعيه الدقيق للأخطار التي كان يمرّ بها العالم الإسلامي، وإدراكه لأطماع الدول الأوروبية وهذا ما يفسّر دعوته للجهاد وحثّه للدفاع عن طرابلس الغرب والمجهود الحربي والمساعدات المالية التي قدّمها لمسلمي رأس الرجاء الصالح والأفغان والهنود، كما نلاحظ اعتزازه بهويته العربية-الإسلامية، كما أنّ مطالبته بالاستقلال منذ سنة 1910م تعتبر شيئًا مثيرًا وهامًا جدًا وهو القائل «فلتتيقظْ يا أيها المسلم ولتتبصرْ ولتجتمعْ في جنب الحق ولترفعْ جلباب الانخداع عن بصرك ولتقاوم هؤلاء الأفاعي فوق مقاومتك للوباء ولتطهر بني البشر منهم ليهْنأ عيشك، وتعيش حرًا في سعادة..»[1].

ومن أشهر الجزائريين الذين التحقوا باسطنبول أيضا وقدّموا خدمات جليلة للقضية المغاربية الشيخ محمد مزيان التلمساني الذي يمتّ بصلة القرابة إلى عائلة المرحوم عبد المجيد مزيان رئيس المجلس الإسلامي الأعلى السابق[2]، وكذا الشيخ محمد الشبيبي التونسي الذي قال عنه المؤرخ الفرنس .Goldstein «أنه جزائري رغم اسمه»[3]، وحمدان بن على الجزائري، محمد ببراز (بويراز) - خال توفيق المدني[4]-، الذي كان ضمن القوات العثمانية، التي أتت لنجدة طرابلس، وجميع هذه الأسماء التي ذكرناها عاشت في ديار الهجرة مع نهاية الحرب العالمية الأولى متعاونة فيما بينها، غير أن نشاطات هؤلاء وحياتهم تبدو مغمورة، إذ لا نستطيع الوقوف عند كل

---

1 - التميمي، "صالح الشريف التونسي"، م.ت..م، ع (23 - 24) ينظر:

- Centre de documentation National .**Dossier, Salah Chérif. B2.84 Doc.N°1** ISHMN, **Guerre (1914 - 1915) –Bob P76, C1654, F(213 - 214)**

2 - ذكر ذلك: - بلقاسم (محمد)، **الاتجاه الوحدوي في المغرب العربي (1910 - 1954)**م، ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر معهد التاريخ، جامعة الجزائر، الجزائر: (1993 - 1994)م، ص. 41.(غير منشورة)

3 - Goldstein (Daniel), **Libreation ou annexion, aux chemins croises de l'histoire Tunisienne (1914 - 1922)** Tunis. M.T.E 1975.P270

4 - المدني، **حياة كفاح**، ج1، ص. 73.

أعمالهم، وإن كنا نجد أسماءهم مقرونة بنشاطات إخوانهم المغاربة، وخصوصًا منهم التونسيين.

الملاحظ أن لجنة استقلال الجزائر وتونس كانت في سنة 1916م معتدلة في مطالبها لكن مع سنة 1917م، اختلف الأمر عقب نداء الرئيس الأمريكي ويلسون «السلام من دون انتصار»، ووصول كليمنصو إلى رئاسة الوزراء الفرنسية حيث استعادت بعض الأمال وطالبت باسم الشعب -الجزائري التونسي من خلال مجلة المغرب «بنظام ملائم لأماله»[1]، وفي نفس الوقت طلب صالح الشريف من قيصر ألمانيا الحصول على الاستقلال لكلا القطرين، حيث تلقت لجنة من القوات المركزية الضمان للاستقلال المستقبلي، وتمّ تسجيل قضية «جمهورية شمال إفريقيا في لاهاي»[2]، ثم طالب اللجنة بالاستقلال في إطار الخلافة العثمانية حيث أصدرت حينها نشرية بعنوان «شكاوى الشعوب المضطهدة تونس والجزائر»، وطالبت بالاستقلال الكامل[3] كما حضر وفد جزائري- تونسي ضمّ صالح الشريف وإسماعيل الصفايحي لنفس الهدف إلى جانب ممثلي الدول الإسلامية الأخرى، أمام مؤتمر اللجنة الهولندية الاسكندنافية[4]، المنعقد في شهر نوفمبر1917م باستكهولم[5] وشاركها في هذه الدعاية الحاج عبد الله الجزائري رابح بوكابوية حيث كانت لهم مجلة أخرى تدعى (الجهاد) ظهرت لأول مرة في شهر مارس 1915م[6]، وكان عدد الأسري التونسيين والجزائريين بمعسكر الهلال سنة 1919م حوالي 2500 جزائري و500 تونسي

---

1 - Goldstein, **OP.cit**, P269.

2 - Goldstein,**OP.cit**, P.P(266 - 267).

3 - Tlili+-+-,**OP.Cit** ,C.T,T 26 ,N:°(101 - 102), P.P (162 - 163).

4 - الساحلي، "مرجع سابق "، **م.ت.م**، ع (33 - 34)، ص. 186.

5 - مناصرية (يوسف)، **الحزب الحر الدستوري التونسي**، ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر، معهد التاريخ، الجزائر: (1985-1986)م، ص. 43.

6 - وارنير آنده، "مرجع سابق"، **الأصالة**، ع 52، ص. ص. (59- 60).

أُدمج منهم حوالي 800 جندي ضمن القوات العثمانية المعروفة بهيئة التشكيلات[1]، وبهذه النسبة العددية نعرف مدى التأثير الذي مارسه هؤلاء الجزائريين، وفي سنة 1918م تكوّنت اللجنة الجزائرية التونسية والمتألفة من أعضاء أغلبيتُهم جزائريين هم صالح الشريف، الخضر حسين محمد مزيان التلمساني ومحمد الشيبي ومحمد بيراز وحمدان بن على إضافة إلى التونسي محمد باش حامبه، حيث أرسلت برقية إلى الرئيس ولسون في جانفي 1919م، ترْجمت المشاعر الموحّدة بين الجزائريين والتونسيين اتجاه المبادىء الولسونية، حيث طالبت بإرسال مفوضين إلى مؤتمر السلام ليمثّلوا الشعب-الجزائري التونسي- ويطالب بحقّه بتقرير مصيره بكل حرية[2]، ومن أعمال الجزائريين والتونسيين شنّ الحملات الصحفية والانتقادية ضد السياسة الاستعمارية في المغرب العربي حيث أصدروا جريدة أسبوعية ابتداء من 11 جانفي 1912م أسموها "المهاجر" التي تبنّت في أهدافها الدفاع عن مصالح المسلمين المغاربة، وتشجيع حركة الهجرة والدعاية لها[3]، وترأسها محمد التوهامي بن شطة الأغواطي (ت بعد 1915م) هذا الأخير الذي أسّس أيضا أثناء الحرب الإيطالية الليبية جمعية كانت تجمع التبرعات من الجزائر وأنحاء العالم لصالح الليبيين ودامت جريدة المهاجر ثلاث سنوات، ليصْدر بعدها التهامي شطة جريدة "الاتحاد الإسلامي" في جانفي1915م[4]، وكانت جريدة المهاجر مموّلة من طرف الأمير على باشا، واتخذت من "نادي جمعية مهاجري إفريقيا الشمالية" مقرًا لإدارتـها، أما مرشد الجريدة فهو الأمير محمد سعـيد

---

1 - Goldstein ,OP.Cit ,P279.

2 - Tlili ,"OP.Cit,T26 N:° (101 - 102) , P.P (97 - 101) .

- طالع نص الرسالة في:

- Centre de documentation National, **Dossier .Mohamed Bach - Hamba, B.1.28, doc N° 56** in la revue du Maghreb du 9& 12/1918 , in l'action Tunisienne du 20/02 /1986.

3 - Bardin ,Op.Cit ,PP (226 - 228).

4- الخرفي (صالح)، **الجزائر والأصالة الثورية**، الجزائر ش.و.ن.ت، 1977م، ص. 164.

بن الأمير على الجزائري[1]، الذي قال عن هذه الجريدة أنها: «آية من آيات البيان، ودرّة من قلائد العقيان»[2]، ويذهب باردان (Bardin) إلى أنّ الأمير سعيد كان يوقّع المقالات المكتوبة له لضُعف ثقافته ونحن نفْهم أن السلطات الفرنسية قد مَنعت هذه الجريدة من التداول في الجزائر وتونس، مما يجعلنا نتوقّع أنّ نشرها كان يتم مع الحجّاج والزوّار والبريد العام[3]، كما أصدر إبراهيم أطفيش لنفس الهدف مجلة "المنهاج" في مصر سنة 1924م، وقد ذكر الشيخ أبو يعلي الزواوي أيضا أنه كان ينشُر مقالاته في جريدة "البرهان" التي كان يُصدرها عبد القادر المغربي، وربما استقطبت هي الأخرى كتابًا آخرين من المهاجرين الجزائريين مثل الشيخ طاهر الجزائري، إضافةً إلى جريدة "المقتبس" وجريدة "المفيد" وكلتاهما اهتمت بشؤون الجزائر وتونس[4].

كما أصدر الوطنيون التونسيون والجزائريون المهاجرون في المهجر خلال نفس الفترة عدة كتب ونشريات، ترجمت إلى لغات عديدة وذلك للتعريف بقضايا الشعوب المغاربية وفضح السياسة الاستعمارية الفرنسية، فقد ألّف الشيخ الصالح الشريف: "حقيقة الجهاد" (بالألمانية سنة 1912م وبالفرنسية سنة 1916م) وكتاب"تونس والجزائر" بالاشتراك مع إسماعيل الصفايحي (النسخة الألمانية سنة 1916م النسخة الفرنسية بلوزان 1916م)، وعدّة كتب أخرى منها:«حجج دامغة حول وجوب خروج الفرنسيين من تونس»، والذي كان له وقع عميق على التونسيين، وكذا «دعوة

---

1 -Bardin ,Op.Cit , P228.

2 - الأمير (محمد سعيد)، **مذكراتي عن القضايا العربية والعالم الإسلامي**، ج1، الجزائر:دار ومكتبة الشركات الجزائرية، 1968، ص. 46.

3 - سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج5، ص. 604.

4 - المرجع نفسه، ج5، ص. -ص. (605-606).

البشرية إلى الحقيقة سنة 1918م» و«شرح دسائس الفرنسيين ضد الإسلام وخليفته سنة 1916م»[1] و«نداء إلى الحق والعدالة سنة 1918م»[2].

كما أصدر الشيخ محمد عبد السلام التيجاني الجزائري في سنة 1915م، مؤلف "فرنسا في نظر المسلمين" وفيه دافَع عن الخلافة العثمانية وطلب من المغاربة تلبية نداء الجهاد، ويجب أن نذكّر في هذا الباب مساهمة الملازم الأول الجزائري "رابح بوكابوية"، الذي أصدر عدة نشريات منها "الإسلام في الجيش الفرنسي" والجهاد ومسلمو إفريقيا الشمالية (1917م)[3].

وهكذا وبهذا النشاط المهجري المكثّف صارت الطبقة المثقفة في فرنسا تعترف بوجود مبدأ القومية والاتحاد المغاربى بعد أن كانت تُنكره بين أهالى الشمال الإفريقي بصفة عامة وبين الجزائريين بصفة خاصة، ولا شك أنّ نشاط الجزائريين الفارّين من الخدمة العسكرية الفرنسية كان أمرًا مثيرًا لقلق الفرنسيين ودافعا لغبطة الألمان، وقد عبّر عن ذلك في الكتيّبات التي أصدرها أحد هؤلاء الفارّين من الجيش الفرنسي تحت عنوان "L'Islam dans L'Armé Française" ذكر فيها «أن مسلمي الشمال الإفريقي قدّموا زهرة شبابهم في ميدان القتال للعمل في صفوف الفرنسيين وذلك في اليوم التالي لإعلان الحرب، وأنّهم تقبّلوا الأمر باهتمام بالغ وتوحّدت صفوفهم بعد استدعائهم للخدمة العسكرية» وأضاف «هناك صغار الفلاحين الذين أُجْبروا على تقديم أبنائهم، وهناك أيضا الأسَر الكبيرة التي قدّمت أبناءها ثمّ نقلتهم السلطات الفرنسية إلى الحدود الفرنسية وإلى خطوط القتال الأمامية»[4].

---

1 - الساحلي، "الوطنيون التونسيون"، م.ت.م، ع(33 - 34)، ص. -ص. (186 - 187) .

يراجع: الهادي الحسني، "صالح الشريف " **الشعب**، ع 7023.

2 - Goldstein , Op.Cit, P.P (226 - 267).

3- نفسه، ص. 266.

4 -Abdellah (ELHADJ), **Lieutenant, L'isalm dans L'Armée Française constantinople**: 1915, P166.

وبعد الحرب العالمية الأولى وجد أعضاء هذه الحركة أنفسهم مُعرقلين إلى أبعد الحدود فلم يعُد بإمكانهم التعويل على مساعدة ألمانيا والإمبراطورية العثمانية المادية والأدبية، لذلك توقّفت جريدتها الوحيدة «مجلة المغرب» عن الصدور في أواخر 1918م، عندما توقّفت المساعدة التركية، وقد كانت تركيا تموّلها منذ تأسيسها سنة 1916م، زيادةً على ذلك ونظرًا إلى توّرطهم مع إمبراطوريات الوسط التي أمدوها طيلة الحرب بكامل مؤازرتهم، وجد الشبان الجزائريون والتونسيون أنفسهم في صف المهزومين عندما انتهت الحرب، وفى هذه الظروف لم تلقى المبادرات التي يتخذونها أي صدى لدى القوى الحليفة، وربما أضرّت في نهاية الأمر حتى بالقضايا التي يدافعون عنها، وذلك ما سيكون محور مذكرة قدمتها "هيئة جزائرية تونسية" لمؤتمر باريس الذي إلتأم في شهر جانفي 1919م، وهذه المذكرة تحمل إمضاء زعماء الشبان الجزائريين والتونسيين في المنفى، إلى جانب التنديد بنظام الاستبداد والعنف والسلْب الذي تفرضُه فرنسا على الشعب (الجزائري-التونسي) وقعت المطالبة "باسم حق الشعوب في تقرير مصيرها" بتحرير شعوب شمال إفريقيا من "الهيمنة التي لم تؤسّسها ولم تبق عليها إلا القوة الوحشية وحدها" وقد جاء في خاتمتها «إن الشّعب الجزائري-التونسي يطالب باستقلاله التام ويهيب بالضمير العالمي ليعترف له بحق تقرير مصيره بحرّية ويرفعُ مطالبَه الشرعية إلى مؤتمر الصلح الذي سيجتمع بعد أيام للنظر في خريطة العالم وإصدار مبادئ جديدة لضمان حقوق الإنسان والشعوب»[1].

وقد بقي هذا النداء الذي وجّهته اللجنة الجزائرية -التونسية إلى مؤتمر باريس حبرًا على ورق وكذلك شأن البرقية المرسلة في02 جانفي 1919م إلى الرئيس ويلسن وفيها يعيد أعضاء اللجنة الكرّة ويندون مرة أخرى باسم الشّعب (الجزائري-التونسي) بالسياسة الفرنسية في الجزائر وتونس ويطالبون لمواطنيهم في البلدين «بحق

1 - Mahdjoubi ,OP.Cit .P 217

إيفاد مفوضين شرعيين لمؤتمر الصلح للدفاع عن قضيتهم والإحراز على نظام جديد يخوّل لهم ممارسة كامل حقوقهم» ولم يكن هذا النشاط للنخبة المهاجرة عديم الجدوى فحسب بل كان حتى معرضًا القضية الجزائرية-التونسية للخطر، فلم يصعُب على حكومة فرنسا رفض مطالب صادرة عن أشخاص يعدّون عملاً لاسطنبول وبرلين، ولم ينفكو يعملون طيلة الحرب متواطئين مع إمبراطورية الوسط، ثم أن أهم الشخصيات البارزة من هؤلاء الشبان لم تُعمّر طويلاً بعد الحرب العالمية الأولي، فعلي باش حامبه وإسماعيل الصفايحي كانا قد توفي في اسطنبول سنة 1918م، كما توفي محمد باش حامبه وصالح الشريف سنة 1920م ببرلين[1].

وخلال تلك الفترة تقريبا (1919م) تأسّس في برلين النادي الشرقيواشترك في تأسيسه من تونس محمد القابسي وعدد من الطلبة الجزائريين الذين كانوا يعتقدون أن الرقي المادي هو سبب قوة وهيبة الأمم الغربية، وأجالوا النظر في الأمم الشرقية وأدركوا ضُعفها على الرغم من الرقي المادي وكثيرًا ما كان يخطُب الجزائريون والتونسيون بذلك في النادي الشرقي.. حيث كانوا يلتقون فيه باللجنة التونسية الجزائرية فحدثت بينهما صداقة وعملاً عبّرت عنهما صحيفة "المغرب"[2]، ومهما كان الأمر فإن نشاط هذه النخبة في المنفي في سويسرا وألمانيا لم يتم دون إقلاق السلطات الفرنسية التي كانت تتابع ذلك النشاط بكل عفوية بواسطة بعثاتها الدبلوماسية القنصلية، فقد تمّ حجز كل المكاسب المنقولة والعقارات التي كان يملكها أفراد هذه النخبة المهاجرة.

ومن الاستنتاجات التي يمكن أن نخرج بها من هذه الدراسة هو أن النخب الجزائرية التي قادت مسيرة الحركة الوطنية طيلة هذه المرحلة الاستعمارية 1900-

---

1 - **Ibid** , P 218

2- عبد الغفار (محمد حسين)، **الحركة الوطنية في تونس (1881 - 1929)**، رسالة دكتوراه، كلية الآداب. جامعة القاهرة، مصر: 1980م، ص. 427.

1939 نجحت في أن تثري قضية الوحدة المغاربية بأدبيات سياسية وفكرية متنوعة، كما أنها تمكنت أيضا من توظيف هياكل التنسيق والنضال المشترك لخدمة المسألة الوطنية الجزائرية لكن الذي تعثرت في إنجازه هو إسهامها في خلق وعي قومي وحدوي حقيقي قوامه الوحدة السياسية بعد الاستقلال، وقد تصعب المقارنة حين تريد البث في محددات تعثر بروز وعي قومي وحدوي حقيقي لمقتضيات منهجية لعل أهمها أن مفهوم الوعي القومي ذاته مازال تساؤلات وإشكالية لم تستنفذ بعد، لكن الغالب ودون أن نجزم في ذلك أن العامل الإيديولوجي كان مقدرا لحصول مثل هذا التعثر بشهادة علال الفاسي «إن أول مواطن النقص في هذه الحركات هو ما يرجع إلى تكوين النظرية.. وأعني به ما يتعلق بخلق برنامج مفصل للنظام الاقتصادي والسياسي الذي يجب أن يكون عليه المغرب في وقت استقلاله...».

وإذا كانت الجماعة الجزائرية بالمهجر ممثلة في قياداتها فإنها قامت في بنضال مغاربي من أجل استقلال كل شعوب المنطقة، هذا النضال المشترك وإن تجسد في مواقع مختلفة إلا أنه بقي محصورا في النخبة الوطنية المتشبعة بثقافة قومية إسلامية، ولم يتعد تأثيره إلا إلى النزر القليل من الطبقات الشعبية الدنيا، وتعود أسباب ضآلة تأثير هذا النضال المشترك في الواقع إلى أنه كان يدخل في إطار الدعاية الخارجية للدول المتصارعة التي لم تكن تطمح إلى إقامة ثورات حقيقية في المنطقة بقدر ما كانت تطمح في أكثر من التشويش على الحلفاء وشغل جزء من جيوشهم في جبهات متسعة يفتحونها لمناوشة أعدائهم، ودون الخوض في مسألة من استفاد أكثر من الآخر، فإن مما لا شك فيه أن تحركات الوطنيين الجزائريين خصوصا والمغاربة عموما ونضالاتهم في إطار الجامعة الإسلامية لم يكن فقط بالدرجة الأولى خدمة لمصالح الدولة العثمانية وقضاياها تبعا لوطنيتهم العثمانية، وإنما كانت في إطار خدمة قضايا بلدانهم في إطار استراتيجية قوامها المراهنة على معاني الأخوة والتضامن الإسلامي.